

## آليات تفعيل استراتيجيات التعليم في ضوء المقاربة بالكفاءات

د/ عبد العليم بوفاتح

أستاذ العلوم اللغوية كلية الآداب واللغات

جامعة الأغواط - الجزائر

ملخص:

إن نجاح المجتمعات مرهون بنجاح التعليم فيها ، ونجاح التعليم متوقف على مدى العناية التي يحظى بها في هذه المجتمعات... فالعملية التعليمية تمثل حجر الأساس في هذا التطور... ولتحقيق هذا الهدف فإنه من الواجب مراعاة عدة جوانب وتكوين رؤية جادة منظمة تضع في الاعتبار تحقيق الآليات التي من شأنها الوصول بالمجتمع إلى بر الأمان. وهذه الآليات من شأنها أن تحدد الاستراتيجيات ثم تعمل على تفعيلها ، إذ بمراجعتها تتحقق الأهداف المسطرة وبإهمالها يكون الابتعاد عن هذه الأهداف.. وهذه الاستراتيجيات التعليمية تتوزع بين أقطاب التعليم : المعلم والمتعلم وعملية التعليم ، بحيث يتم تفعيل دور كل منها من أجل تحقيق الأهداف المسطرة عن طريق الانتقال من التخطيط إلى الإجراء لتجسيد المعطيات الحقيقية وتحديد الكفاءات المحصلة وتقييمها.. وهذا ما يتجلى فيما يسمى بالمقاربة بالكفاءات التي طريقة بيداغوجية ناجحة تنصب على المنهج التعليمي في المقام الأول، وذلك بجعل المتعلم محورا للعملية التعليمية بعد أن كان دوره هامشيا. وهي خطوة جديدة تأتي بعد بيداغوجية الأهداف، ولكنها لا تلغيها ، وإنما تحقق معها ذلك التكامل الذي يفضي إلى النجاح المنشود ، في حال مراعاة آلياتها وتفعيلها في عصر التكنولوجيا.

هذا، ولا تتأتى نجاعة العملية التعليمية بالتحصيل العلمي والمعرفي وحسب، لأن ذلك يجعل من المعلم جهازاً ملقناً، ومن المتعلم وعاءً مخزناً ، ومن المناهج والمقررات أرشيفاً ومخزناً.. وهذا ما يجني عليها أكبر جنابة من حيث أريد لها النفع أحياناً ، من الذين لا يسايرون حركية المجتمعات ومتطلبات العصر ومستجداته ..

وستتناول ههنا جملة من العناصر التي نحدد فيها المصطلحات والمفاهيم لنجعل من عرضها مدخلاً لطرح الإشكالية ومن إيضاحها منطلقاً للإجابة على عدة تساؤلات باتت تؤرق الباحثين والمهتمين في مجال التربية والتعليم .. فما الاستراتيجيات ؟ وما آليات التفعيل ؟ وما صلتها بأقطاب العملية التعليمية ؟ وما المراد بالمقاربة بالكفاءات ؟ وكيف يتحقق تفعيل هذه على ضوء تلك ؟ هذه الأسئلة وغيرها ستكون الإجابة عليها وتحليلها موضوعاً لبحثنا..

توطئة : موقع التعليم من حركة التطور التكنولوجي :

إن نجاح الأمم وتطورها، ورخاء المجتمعات ورفيها وازدهارها، كل ذلك إنما يقاس بمدى نجاح منظومتها التعليمية التي تُعدّ حجر الأساس في إثبات وجودها والحفاظ على مكانتها. غير أن ذلك لا يتحقق إلا انطلاقاً من رؤية ثاقبة تراعي جملة من العوامل التاريخية والثقافية ، وتحدد منطلقاتها من معطيات تربوية ومعرفية تتسم بالمرونة والقابلية للتطوير والتحديث. وبهذا يمكن بناء نظام تعليمي متكامل ملتحم الأجزاء يتجاوز مجرد التحصيل العلمي والمعرفي وحشو الذهن بكم من المعلومات ، إلى معرفة كيفية استثمار هذه المعارف والمعلومات وتوظيفها في مواطنها، بحيث تؤتي أكلها كل حين عند الحاجة إليها، بل إن الأمر لا يقتصر على ذلك وإنما يمتد إلى بثّ روح الإبداع والقدرة على الابتكار لدى المتعلمين

انطلاقاً من عمليات تعليمية ناجحة تراعي عدة معايير ومقاييس، وفق عملية تخطيط ووضع أرضية ثابتة على أسس راسخة تتغير وتتطور وتؤثر وتتأثر، وتواكب حركية المجتمع، وبهذا لا تضمحل ولا تتلاشى..

لا يمكن أن يغفل أحد أو يتغافل عمّا وصل إليه العالم اليوم من درجات التطور التكنولوجي على أكثر من مستوى، كما لا يخفى أنّ مساندة هذا التطور أصبحت ضرورة تفرض على كل المجتمعات التي تُنشُد الرقي والازدهار أن تلحق بركب التكنولوجيا، وإلا بقيت مع الخوالب معزولة عن العالم عاجزة عن إيجاد موضع قدم لها على الساحة العالمية.. إنّ هذا التطور المتسارع الذي يقتحم الديار بلا استئذان يستدعي فتح الآفاق أمام استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على المستوى العربي - العربي، ثم على المستوى العربي - العالمي؛ لأنّ شبكات المعلومات العربية الموجودة حالياً غير متصلة بعضها ببعض، ولا تستخدم المعايير ذاتها، سواء في تصنيف المعلومات وإدارتها أو في تكنولوجيا الاتصالات، أو غيرها..

وبما أنّ اللغة ليست بمعزل عن هذا التأثير الممتد إلى عناصر تكوين الأمم ومقوماتها، باعتبارها ( أي اللغة ) هي الأداة المنفصلة والفاعلة في الوقت نفسه، فلا مناص لها إذاً من أن تستجيب لمتطلبات التكنولوجيا وأن تتجاوب مع متغيرات العصر. بل إن اللغة لا تستغني عن الوسائل التكنولوجية إذا ما أرادت ضمان مساندة العصر. ذلك أن هذه الوسائل العصرية قد أصبحت تشمل سائر مجالات المعرفة. ويتجسّد هذا الشمول أكثر في ميادين الاتصال والمعلومات. وواقع الحال أنّ الدراسات التي تتناول مستقبل الثقافة العربية في ظل التحولات المتسارعة في عصر التكنولوجيا لا تزال بكل أبعادها - على الرغم مما حققته من إنجازات - بعيدة عن المستوى المنتظر منها أن تصل إليه في إبراز حقيقة التحديات التي عليها أن تواجهها في سبيل التعبير عن كيانها، وتسجيل حضورها العلمي، وإثبات وجودها على درب المستقبل التكنولوجي الذي لا مناص من انتهاجه، وهذا يقتضي بالتكيف مع مختلف التحولات العصرية في عالم التكنولوجيا على أوسع نطاق..

انطلاقاً ممّا سبق نتبيّن أنّ تكنولوجيا التعليم أصبحت ضرورة، بل إنّها " منهج نظامي في تخطيط وتنفيذ وتقديم وتقييم كامل للعملية التعليمية في ضوء أهداف محددة تقوم أساساً على البحث في التعليم الإنساني ونظريات الاتصال، وهي وقف على أساليب جديدة في البحث والتفكير، وتقنيات في التنظيم، وعقلنة القرارات، واستخدام أمثل للموارد، وتوزيع جديد لقوى الإنتاج، وتركيب جديد لعلاقاته.."<sup>1</sup>

#### تحديد المفاهيم والمصطلحات :

إنّ حديثنا ههنا ينصبّ أولاً على اللغة باعتبارها الأداة الأساسية لكل عملية تعليمية، إذ لا يمكن أن تتمّ من دونها، ثم باعتبارها وثيقة الصلة بعقل الإنسان، إذ لا وجود للغة خارج إطار تصوّرها العقلي، كما يقول تشومسكي. ويبدو أنّها مفيدة لمعرفة المسار العقلي واكتشاف نظامه. وعلى هذا فإنّ خصائص العقل مرتبطة بخصائص التنظيم اللغوي، بل لا نستبعد أنّ ثمة قيوداً أو ضوابط معرفية يضعها الطفل، كما يضعها الكبار، حين استعمال اللغة. ومن هنا يمكن القول إنّ دراسة اللغة تُسهم إلى حدّ كبير في تحليل المسار العقلي واكتشاف نظامه. بل إنّ الفعل الكلامي هو فعل عقلي، ولا يمكن اعتباره مقتصرًا على الفعل الفيزيائي. وعلى هذا، فاللغة انعكاس للعقل الإنساني. (2)

وقبل البدء في الحديث عن أهم الآليات والاستراتيجيات في التعليم عموماً، وفي تعليم اللغة على الخصوص، يجدر بنا تحديد جملة من المفاهيم والمصطلحات التي تمثل المدخل الأساس للموضوع ، لأنّ تحديدها هو جزء من بيان أهميتها ودورها في إنجاح العملية التعليمية التعلّمية.. فما الفرق أولاً بين التعليم والتعلّم والتدريس؟ وماذا نعني بالاستراتيجيات؟ وما هي آليات التفعيل؟ ثمّ ما المراد بالمقاربة بالكفاءات؟ وما مدى صلتها بهذه الاستراتيجيات؟

**التعليم والتدريس والتعلّم :**

ينبغي التمييز بين التعليم والتدريس، على ما هنالك من تشابك وتكامل بين التعليم والتعلّم والتدريس... فالتعليم بالمفهوم العام هو عملية كبرى شاملة تشترك فيها عدة جهات كاليئات الوصية والمناهج والبرامج وطرائق التعليم ، وأدوار المعلمين واستعدادات المتعلمين ؛ فالتعليم ، على هذا ، يشمل التعلّم الذي يختص بالمتعلمين ، كما يشمل التدريس الذي يختص بالمعلمين، ويشمل غير ذلك من الأنشطة التي يمكن أن تقوم بها هيئات أخرى حتى خارج المؤسسة التعليمية، بمعنى أنّ التعليم لا يقتصر على المعلم المتخصص، وإنما يمكن أن يقوم به غيره في أي مجال من مجالات الحياة، فلا يحده مكان أو زمان بعينه، وفي هذه الحال قد يتمّ من دون وضع خطط تعليمية هادفة.. على حين أن التدريس يعني بما يؤدّيه المعلمون من أدوار وأنشطة تعليمية تشمل الطرائق التي يسلكونها في تدريسهم والأهداف الخاصة والعامّة التي يرسّمونها وأساليب التقويم لنشاطات المتعلمين. فالتدريس إذاً يتمحور أساساً على أنشطة المعلمين وفق ما يتم تحديده في قانون المنظومة التربوية التعليمية.. وأمّا التدريس فهو في المقام الأول فنّ قبل أن يكون علماً ، ويتميّز به من يمارس مهنة التعليم عن غيره ، كما أنه يقع التفاضل بين المعلمين بقدر امتلاكهم للآليات المناسبة لوضعيات المتعلمين ؛ ثمّ إنّ التدريس علّم كذلك من وجهة أخرى، وهي الإلمام النظري ثم التطبيق العملي للمقاييس والنتائج المتوصل إليها نتيجة القيام ببحوث ودراسات هادفة في مجالات التربية وعلم النفس، بقصد الارتقاء بمستوى التعليم . ونجاح عملية التدريس يتوقف بالدرجة الأولى على من يقوم بهذه العملية ويمارسها، وتأتي المناهج والمقررات في المرتبة الثانية بعد ذلك. وبهذا يمكن أن يكون لدينا مناهج ومقررات مثالية، ولكن لا يوجد مدرسون مثاليون، فهذا يؤدّي إلى الفشل الحتمي؛ وقد يكون ثمة قصور في المناهج والمقررات، ولكن القائمين بالتدريس يبدعون ويجتهدون في مهامهم، فهذا يؤدّي إلى النجاح، وإن كان نسبياً. وأمّا الأفضل فهو وجود تكامل بين هذا الجانب وذاك، وتلك هي الغاية التي يراد الوصول إليها..

#### الاستراتيجيات :

يراد بالاستراتيجيات في مجال التعليم طريقة وضع الخطط المناسبة، وكيفية استعمال الوسائل الملائمة من أجل التوصل إلى النتائج المرجوة، وتحقيق الأهداف المنشودة.. فهذه النتائج تكون ثمرة لعملية التخطيط المحكّم الذي يتحقق بعد البحث الجادّ والدراسة العلمية لمختلف الظواهر التي هي موضع الاهتمام، بقصد إيجاد الطرق العلمية المناسبة في التعامل مع هذه الظواهر ، بحيث يتم تحقيق الأهداف المرسومة من دراستها..

ويمكن توزيع هذه الاستراتيجيات بمفهومها العام على عمليتي التعليم والتعلّم. فاستراتيجيات التعليم غير استراتيجيات التعلّم ، ولكنّ ثمة تقاطعاً جلياً بينهما بحكم التكامل الحتمي بين أقطاب العملية التعليمية التعلّمية..

ويعتمد تحديد الاستراتيجية على المعطيات العلمية الصحيحة المناسبة للوضعية المراد دراستها ، إذ لكل وضعية استراتيجية التي لا تكون بالضرورة مناسبة لوضعية أخرى. وكلما كانت زادت نسبة التوفيق في إيجاد الاستراتيجية المناسبة لوضعية ما زادت فرص النجاح في تحقيق الأهداف المحددة والوصول إلى الغايات ( الكفاءات ) المستهدفة..

**آليات التفعيل :**

الآليات هي الوسائل والأدوات التي يتم الاستعانة بها من أجل تحقيق الأهداف المسطرة، وهي تشمل عدة ميادين وقطاعات. أما في قطاع التربية والتعليم فهي تمثل مختلف التدابير والقرارات المبنية على دراسات علمية وخطط تنظيمية معدة لتطبيق المناهج واتخاذ الإجراءات التي يُعتدُّ أنها مناسبة للوصول إلى الأهداف المنشودة..

وأما دور هذه الآليات في تفعيل استراتيجيات التعليم فيتمثل في التخطيط الأمثل في اتخاذ الإجراءات والتدابير المناسبة للارتقاء بالعملية التعليمية، من حيث وضع الخطط الملائمة وانتقاء الوسائل المثلى لتحقيق الأهداف المنشودة من كل نشاط تعليمي؛ وذلك فيما يتعلق بمختلف الاستراتيجيات؛ وهي التي وزعناها ههنا بين : استراتيجيات تعليمية واستراتيجيات تعلمية؛ ولكل منهما مكوناته، على الرغم مما يوجد بينهما من تكامل حتمي وتشارك ضروري في الارتقاء بمستوى التعليم في كل مجالته..

#### المقاربة بالكفاءات :

يعرف العالم اليوم تغيرات وتطورات متسارعة في مختلف الميادين المعرفية ، وهذا يقتضي مساهمة حركية الحياة في هذه الميادين ، وذلك بوضع خطط منظمة قائمة على اعتبارات علمية تتماشى مع خصوصيات الحياة العصرية. وسيراً على هذا النهج الحديث كان لزاماً على كل من أوكلت إليه مهمة البحث والنظر في مستقبل مشرق للمجتمع الذي ينتمي إليه أن ينعم النظر في السبل والمناهج الكفيلة بتحقيق هذه الغاية المستعصية في بعض الأحيان.

وتأتي المنظومة التربوية في مقدمة المؤسسات التي حظيت بالعناية والاهتمام ، إذ عمد الباحثون إلى السعي نحو تطوير المناهج التعليمية، واستحداث آليات حديثة تركز اهتمامها على المتعلم الذي لم يحظ بالقدر الكافي من العناية في المناهج القديمة التي جعلت المعلم والمادة التعليمية على رأس اهتماماتها .

ولئن حققت تلك المناهج القديمة ما حققته من النجاح الذي لا يمكن إنكاره ، فإن ذلك يعود إلى طبيعة العصر وخصوصيات الفترة التي وُجدت فيها.. وبالنظر إلى التغيرات الحاصلة اليوم على عدة مستويات فإنه من الضروري مراعاة هذه خصوصيات هذا العصر، وهو ما يعني اتخاذ آليات جديدة لإنسان اليوم الذي يختلف عن إنسان الأمس.

من هذا المنطلق، ظهرت جهود بحثية ذات قيمة تربوية جديدة بالاهتمام، أثمرت عدة نظريات كان منها - في مجال المناهج التعليمية - ما أطلق عليه : " بيداغوجية الأهداف " ، ثم ما لبث هذا المنهج أن نُسخ بما أصبح يسمّى اليوم بـ: " المقاربة بالكفاءات " .

وإذا بمصطلح " المقاربة " في المجال التربوي التعليمي جملة من المنطلقات النظرية التي تبني عليها المقررات والمناهج التعليمية، بغية إيجاد مسلك للمتعلم يقترب عبره من مجال التعلم الذي يمارسه. وعليه، فإن الهيئة التعليمية هي المطالبة بإيجاد هذا المسلك الذي يقوم على ترسيخ كفاءات وقدرات بعينها لدى المتعلم، ثم القيام بتدريبه على تجسيدها إجرائياً

وأدائها. وبهذا يتم الانتقال من النظري إلى التطبيقي، ومنه يتأتى تحقيق كفاءات مقصودة مستهدفة لدى المتعلم، بناءً على خطط مرسومة ومعالم موسومة.

فالكفاءة إذاً هي كفاءة المتعلم الذي يُعدّ محور العملية التعليمية وفق هذا المهج الجديد ( أي منهج المقاربة بالكفاءات.. ) لأنه ( أي: المتعلم ) يكون حاضراً في كل العمليات التربوية التي تهدف إلى جعله قادراً على التصرف والتفكير في مختلف المواقف التي تعرض له، بحيث يمتلك القدرة على إيجاد الحلول للوضعيات المختلفة التي يصادفها. وهذا بعدما كانت بيداغوجية الأهداف تركز اهتمامها على الغاية من المادة التعليمية ذاتها لا على المتعلم.. وهذا من أبرز ما يميّز بيداغوجية المقاربة بالكفاءات عن بيداغوجية الأهداف.

وتبدأ هذه المقاربة باكتساب المتعلم للمعطيات النظرية وإدراكه للجوانب المعرفية، انتقالاً إلى امتلاكه القدرة على تجسيد هذه المكتسبات النظرية وترجمتها في نشاط تطبيقي إجرائي، وهو ما يسمّى بالمهارات، أو في شكل أنماط سلوكية فعلية تتلاءم مع وضعيات مختلفة تعرض للمتعلم بحسب المقتضيات.. فالملاحظ أنّ ثمة علاقة وطيدة بين الكفاءة والقدرة والمهارة، وهذه هي المكونات الاستراتيجية لعملية التعليم والتعلم وفق بيداغوجية المقاربة بالكفاءات..

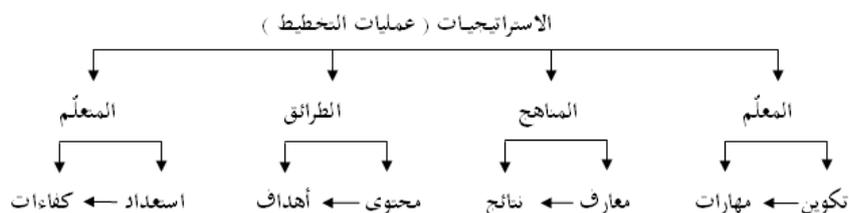
فهذا المنهج يميّز، إذاً، بالتدرّج في تكوين المتعلم من التحصيل النظري للمعلومات والاكساب المعرفي للمفاهيم إلى امتلاكها والتمكّن منها، ومنه تحويلها - عن طريق الأداء التطبيقي - إلى إنجازات ومهارات فعلية، مع ترسيخها في شكل قدرات كامنة لدى المتعلم يتمكّن من توظيفها عند الحاجة إليها في الوضعيات الملائمة لها. وتلك هي الكفاءة التي تمثل الهدف المقصود من عملية التعليم. والكفاءات تتعدد بتعدد المجالات وتتنوع بتنوع الوضعيات..

ولنضرب مثلاً على ما نقول: فمعرفة قواعد لغة ما واكتسابها عن طريق التعلّم يمثل المرحلة الأولى التي هي الأساس النظري للكفاءة؛ على حين أنّ توظيف هذه القواعد وتطبيقها عند التكلّم بتلك اللغة يمثل المهارة الفعلية التي تتجسد في العمل التطبيقي؛ ويصاحب ذلك بالضرورة امتلاك القدرة، في شكل سلوك راسخ لدى المتعلم، بحيث يستغلّها في استعمال هذه القواعد عند الضرورة بحسب ما يعرض له من وضعيات كلامية وفق نظام اللغة المعنية..

ولنا أن نطرح سؤالاً مهماً ههنا، مفاده: هل يمكن القول إنّ الإمام بالمعرفة النظرية ( أي مضامين المقررات والمناهج ) يؤدّي بالضرورة إلى القدرة على تجسيدها في شكل مهارات فعلية؟ ونقول في الجواب أنّ هذا ليس أمراً مطّرداً، فكم نجد من المتعلمين من يحفظون قواعد معينة، ولكنهم لا يجيدون تطبيقها في كلامهم. وهذا ينطبق، مثلاً، على قواعد اللغة بصفة عامة وقواعد النحو على الخصوص؛ وربما وجدنا ذلك في مجالات معرفية أخرى. كما يمكن أن يكتسب المتعلم معارف نظرية ولكنه لا يجيد استعمالها وتوظيفها في الوضعيات المناسبة..

نخلص من هذا المثال إلى أنّ امتلاك المعرفة النظرية ليس دليلاً على امتلاك القدرة على الأداء التطبيقي لهذه المعارف في شكل مهارات أو سلوكيات. فالقدرة لا تظهر عندئذ إلا من خلال التطبيق العملي للمكتسبات النظرية. فهناك، إذاً، مستويان من الكفاءات: مستوى أول: ويتمثل في الكفاءات النظرية أو المعرفية؛ ومستوى ثان: يمكن أن نسمه بالكفاءات المهارية أو الإجرائية أو التطبيقية..

ومما يميّز بيداغوجية المقاربة بالكفاءات أنّ تحقيق كفاءة معينة قد يكون غايةً في ذاته، وقد يكون بداية للعمل على تحقيق كفاءة أخرى. كما أنّ منهج المقاربة بالكفاءات من شأنه أن يُمدّد العملية التعليمية-التعلّمية بالحياة وبيعثها في ثوب جديد، إنّ من جهة مضامين المقررات، وإنّ من جهة طرائق التدريس أو وسائل التعليم وأدواته المختلفة. وقبل أن نتحدث عن استراتيجيات التعليم والتعلّم، نقترح هذا المخطط التوضيحي الذي يبيّن توزيع هذه الاستراتيجيات على عناصر العملية التعليمية التعلّمية؛ وهو ما سيأتي تفصيله وإيضاحه.



إنّ المعلّم هو أحد أهم أقطاب عملية التعليم، ولا بد من تكوينه معرفياً وبيداغوجياً ليكون على اطلاع بالمستجدات في مجال التدريس، ثم ليكتسب مهارات إبداعية تفضي به إلى النجاح في مهامه. وأما المناهج فتشمل المضامين والمحتويات التي يتم إعدادها وفق استراتيجيات معينة تُراعى فيها عدة اعتبارات منها ما يتصل بالمعلّم، ومنها ما يتعلّق باعتمادات أخرى، وهي تتضمّن معارف منتقاة بحسب الحاجة إليها، بحيث يُنتظر منها أن تؤدّي إلى نتائج معينة متوقعة..

وأما الطرائق فتشمل أساليب التدريس على اختلافها وتنوعها، علماً أنّ لكل نشاط أو مادة تعليمية طرائقها وأساليبها المناسبة لها، ونجاح الطرائق يتوقف على مدى التوفيق في اختيار المحتويات، ثم الأهداف المرسومة لها، إذ لا يمكن الحديث عن تعليم ناجح بنجاح طرائقه وحسب، ما لم يكن هذا النجاح في المحتويات والمضامين التي يؤدّي تطبيقها بطرائق مناسبة إلى تحقيق أهدافها، وذلك هو النجاح الذي تشترك فيه هذه العناصر مجتمعة..

وأما المتعلّم فهو أهم قطب في العملية التعليمية، وهو يشكّل مع المعلّم ثنائية تلازمية، فالمتعلّم الذي يملك الاستعداد الكافي والقدرات اللازمة يتمكّن من اكتساب كفاءات لا تلبث أن تتحول من إطارها النظري إلى إطارها الأدائي التطبيقي، وتلك هي الغاية المنشودة من عملية التعليم والتعلّم..

والحاصل أنّ المعلّم الكفء الذي تمّ إعداده وتكوينه معرفياً وبيداغوجياً يكون موفّقاً في تطبيق المناهج المقررة التي تمت دراستها بعناية وفق حاجات المجتمع ومتطلباته في فترة معينة، وذلك بطرائق ناجحة تتمّ دراستها ومعاينة نتائجها، هذا المعلّم يتوصّل في الختام إلى إعداد متعلّم مثالي ذي كفاءات متعددة يتمكّن بوساطتها من التعامل بنجاح مع ما يُعرض له من مختلف المواقف والوضعيات.. وتلك هي الغاية القصوى من بيداغوجية المقاربة بالكفاءات..

هذا، و يمكن أن نتحدث عن الأسس التي تقوم عليها استراتيجيات التعليم بمفهومها الشامل، علماً أنّنا أشرنا إلى أنّ التعليم بالمفهوم العام يتضمّن التعلّم الذي يعنى بنشاط المتعلمين، ويشمل التدريس الذي يعنى بنشاط المعلمين.. ونريد أن نخصص الحديث ههنا عن استراتيجيات التعليم من حيث دور الهيئات الفاعلة المؤثرة بما تقوم به من إعداد للمناهج والمقررات، وإعداد المعلمين وتكوينهم بما يتلاءم والأهداف المراد تحقيقها من العملية التعليمية. ونجعل ذلك في جانبين متكاملين، على النحو الآتي :

**الجانب الأول :** يتمثل في حسن اختيار البرامج المناسبة والمناهج والمقررات التي تراعي عدة مقاييس مدروسة وتضع في حسابها عدة اعتبارات مخطط لها، وهنا يتجلى دور الهيئات الوصية ؛ كما يتمثل هذا الجانب فيما يتمّ اعتماده من الأساليب وطرائق التعليم الكفيلة بتحقيق الأهداف المسطرة.

**الجانب الثاني :** يتمثل في كفاءات المعلمين والأساتذة القائمين على تقديم المادة العلمية ، من حيث مستوى إعدادهم وتكوينهم معرفياً، ثم من حيث قدرتهم على مسايرة مختلف التطورات والمستجدّات في مجال العملية التعليمية..

**أولاً : استراتيجيات المناهج والمقررات التعليمية :**

ينبغي أن لا تكون مضامين المناهج المقررة مجرد مواد يُراد تخزينها في ذهن المتعلّم لمطالبته بإرجاعها عند الحاجة إليها وحسب ، بل ينبغي أن تطرح هذه المضامين عدة تساؤلات على المتعلّم بغرض إثارة تساؤلات وإشكاليات لديه، ومن ثمّ يتمّ دفعه إلى البحث عن إجابات عليها ، وحثه على التفكير في مختلف القضايا ومحاوله إيجاد الحلول والبرهنة عليها..

وقبل الحديث عن أهمّ الشروط التي نراها ضرورية بل واجبة في ميدان التعليم نرى من اللازم الإشارة إلى أهميّة التخطيط وإقامة الدراسات المتعددة ، وإنجاز البحوث المكثفة في هذا الشأن مع اتّباع استراتيجيات مدروسة إن على المدى القصير أو الطويل ، ووضع غايات محددة ترمي إليها هذه البرامج في مضامينها .

وهنا لابدّ من استثمار البحوث والدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية التي تهيء الظروف الملائمة لتطبيق المضامين والبرامج بنجاح . فالتخطيط إذاً هو الخطوة الأولى التي لا غنى عنها. كما ينبغي أن يُستفاد في هذا الشأن من التجارب المتراكمة على مدى العقود السابقة ولا بدّ أن يكون هذا التخطيط مبنياً على دعائم ثابتة وأسس راسخة انطلاقاً من مقومات الأمة ومبادئها ، وحاجات المجتمع ومتطلباته. فكلّ عمل ليس له أصول يمتدّ إليها هو عمل مبتور ، وكلّ جهد غير مبنّي على أسس ثابتة هو جهد محكوم عليه بالفشل .

**أما الشروط العامة التي ينبغي توفرها في إعداد المضامين والبرامج فنوجز أهمها فيما يأتي:**

\* ضرورة استمداد المناهج التعليمية من الأصول الثابتة التي تنبني عليها لغة الضّاد على مختلف المستويات اللسانية والفنية، فلا مجال لبناء تعليم العربية وترسيخها على الأسس التي بُني عليها تعليم اللغات الأخرى . " فعلى الرغم من الاتفاق العام بين الثقافات المختلفة إلاّ أنّ هناك بعض التباينات في عملية قياس المعنى ، حتى مع افتراض تكافؤ المصطلحات ، فليس لدينا طريقة لمقارنة الاستخدام الموضوعي للمصطلحات في المنطوقات الفعلية بواسطة متحدثين بألسنة مختلفة . " (3)

\* استيحاء المضامين من بيئة التلميذ وواقعه الاجتماعي بكلّ أبعاده ، يجد فيها ما يشاهده في حياته وتستجيب لما يشغل باله . ذلك أنّ لغة الطفل - ولا سيما في مراحلها الأولى - تتشكّل من خلال بيئته التي يعيش فيها ، وما يحيط به من ظروف اجتماعية ، وما هو سائد من أساليب التفكير حوله.

\* مراعاة عُمر التلميذ وقدراته واستيعابه. فلا يُقدّم له ما يفوق مستواه وطاقته سواء أكان ذلك من حيث الكمّ أم الكيف. فأما من حيث الكمّ فيكون ذلك بتجنّب التراكم المذهل للمعلومات والمفاهيم بما يتثقل كاهل التلميذ ويعرقل جهوده المحدودة - خصوصاً في السنوات الأولى من التعليم - لفهم ما يُقدّم له . وأما من حيث الكيف فيكون بتجنّب الصعوبة والتعقيد..

كما ينبغي مراعاة التدرج من السهل إلى الصعب من جهة أخرى؛ حتى يتم تحاشي عزوف المتعلم ونفوره، مما يؤدي إلى فتوره وقلة مردوده، خصوصاً مع الأحداث من المتعلمين، بحيث لا يتم إلقاء الغاية عليهم قبل فهمها (4). فنقول ، على سبيل المثال، إنّ مرحلة التحليل للمادة المقدّمة للدرس تتمّ " عن طريق تجزئة المادة إلى عناصرها ومكوناتها الأساسية مع مراعاة مبدأ التدرج وقواعد التدريس العامة ، ومدى ملاءمة ذلك للهدف من الدرس والفئة المستهدفة ، وما يفرضه الموقف التعليمي من تعديل واقتراح البدائل الملائمة . " (5) ومن التدرج أيضاً الانطلاق من المحسوسات إلى المجردات ، ذلك أنّ المتعلم في المراحل الأولى من التعليم تكون قدرته على الإدراك محدودة . ولذلك فإنّه ينبغي الوقوف عند حدود هذه القدرة . ولا يتمّ الانتقال إلى المحسوسات إلا في المراحل التي تتسع فيها مداركه و يملك القدرة على التصوّر والإدراك ..

\* حسن الانتقاء لما يُقدّم من المواد اللغوية ، حتى لا تنحصر عملية التعليم في حشو ذهن التلميذ بكمّ كبير من المادة اللغوية مع الاعتقاد أنّه " كلّما زاد علم المتعلم اللغة وأوضاعها - مهما كانت - فهو ثروة لغوية ولا بدّ أن تفيده . وهذا غير صحيح ، بل يفنيه الواقع الذي يعيشه المتكلمون . " (6)

لقد قدمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مشروعاً في شأن قدرات الطفل ودرجات استيعابه. والغرض من هذا المشروع : هو ألاّ يزيد الرصيد اللغوي الذي يكتسبه الطفل على ما يحتاج إليه ، وعلى ما يقدر على إدراكه في سنّ معيّنة من عمره ، وألاّ ينقص عن ذلك في الوقت نفسه ، فهو القدر الأمثل ، ( أي : أقصى ما يمكن وأدنى ما يُحتاج إليه ). (7)

لقد أثبتت الدراسات أنّ لغة الطفل في السنوات السبع الأولى من عمره تتميز عموماً بالبساطة والمركزية حول حياته وحاجاته ورغباته ، وتقلّ هذه الظاهرة تدريجياً من سنة إلى أخرى . ثم تتحوّل - ابتداءً من سنته السابعة - من المركزية البحتة إلى من حوله من الناس وما يحيط به من الأشياء وذلك نتيجة التفاعل الاجتماعي مع الآخرين ، إذ يُفسّح المجال عنده لصيغ أخرى منسّقة ومنظمة في ألفاظها ومعانيها تأخذ في اعتبارها وجهات نظر الآخرين ورغباتهم .. لأنّ الطفل في هذه المرحلة قد نما في إدراكه حتى وصل للعمليات المحسوسة التي يستطيع بها التعاون مع الآخرين .. ثم يعرف الطفل - في المرحلة اللاحقة بعض الأسماء ويدرك بعض الأشكال المحيطة به ، ويفهم إشارات الآخرين ؛ ثم يتمكن من أن يستجيب لمخاطباتهم بمفردات وعبارات محددة تتكوّن في الغالب من كلمة واحدة ؛ ثم يميّز في بيئته بعض الأشياء المحيطة به بتسميتها ؛ ثم يتعلم التحاور أكثر مع الآخرين ؛ ثم يبدأ بمزج كلمات عديدة للتعبير عن فكرة أو للإجابة على سؤال .. (8) وهكذا تزداد قدرته على الاكتساب والتعلم كلّما زاد عمره . ومن النادر أنّ نجد الطفل - في مختلف مراحل نموه - تتعدّى قدرته على استعمال اللغة وفهمها عدد سنوات عمره .

وخلاصة القول أنّه ينبغي النظر إلى غايات المضامين التعليمية وما يمكن أن تحقّقه من أهداف ؛ كما ينبغي مراعاة خصوصيات المناهج والمقررات في كل مرحلة تعليمية، لتؤتي ثمارها ؛ مع ضرورة اتخاذ الوسائل المناسبة لتنفيذ الخطط التعليمية المرسومة وتحقيق أشكال التعلم المقصودة ؛ وكذا ربط المحيط التعليمي بالمحيط الاجتماعي ؛ وانتهاج أساليب تقييمية منظمة ومدروسة للكفاءات حسب أنواعها ومجالاتها..

ثانياً : استراتيجيات الطرائق والأساليب التعليمية :

ينبغي أن تكون هناك استراتيجية واضحة في طرائق التدريس وأساليبه، تشمل خططاً منظمة ومدروسة، لكنّ هذا لا يعني توحيد هذه الطرائق والأساليب، بل إنّ تنوعها من مؤشرات النجاح، على اعتبار أنّ التدريس فنّ يجيده من يمارسه، مع وجود تفاوت في هذه الإجابة بين مدرس وآخر..

وعلى هذا ، فلا بدّ من البحث عن الآليات المناسبة في ممارسة عملية التعليم ومراعاة طُرُق التعليم وسبُل الاكتساب على الوجه الأحسن . وهنا يتجلى الدور الذي يُنتظر من الباحثين في مجال التعليم ، سواء أكانوا من علماء اللغة المتخصصين أم من علماء التربية أم من علماء النفس أم من غيرهم من العلماء في الحقول الأخرى التي لها صلة بدراسة العقل البشري وبعمليّة التعلّم والاكتساب. ذلك أنّ تعليم اللغة يقتضي مراعاة جوانب متعددة لها علاقة بالمتعلّم في مختلف حالاته ووضعياته والظروف المحيطة به ..

ومن أهمّ الأساليب نذكر أسلوب المحادثة أو الحوار ، وذلك على مستويين : أولهما الحوار بين التلاميذ أنفسهم ، ولا سيما في المراحل الأولى من التعليم . وثانيهما الحوار بين المدرّس والتلاميذ ، وذلك في كلّ المراحل التعليميّة . فالحوار سلوك اجتماعي يظهر من خلال اللغة . وعن طريق الحوار المتحرّر من القيود يمكن للمتعلّم أن يعبر عن أفكاره بحريّة ، وهذه الحرية في التعبير تُبعتها حريّة في استعمال الرصيد اللغوي . ذلك أنّ اللغة أفضل أداة للتعبير عن الأفكار ، وهي عامل مساعد على نمو التفكير وتطوره .. والحوار هو القناة التي من خلالها يستطيع المتعلّم أن يتخاطب بحريّة مع الآخرين بحيث يكتسب الثقة في نفسه ويوطّد العلاقة بينه وبين محيطه ، كما يجعله يسفيد من خبرات غيره . وهذا ما يزيد إقبالاً على التكلّم والإفصاح للآخرين عمّا بداخله .. وعن طريق الحوار – أيضاً – يتمكن المدرّس من التعرّف إلى مستوى التلميذ بما يكفي ليستطيع بذلك تلبية حاجاته ، وتحقيق التجاوب معه أثناء التدريس .. إلى غير ذلك من الفوائد التي يمكن تحصيلها من الحوار . وفي ذلك إكساب التلميذ مهارات لغويّة متنوعة .. وكلّما زادت فرص الحوار وتنوعاته كان في ذلك فرص أكثر لاستعمال اللغة وتنويعها .

ومما له أثر بارز في تعلّم الطفل في المراحل الأولى أسلوب اللعب ، نعم : اللعب الذي يتعلّم الطفل من خلاله اللغة كما يتعلّم غيرها ، لأنه ( أي اللعب ) يكون عبر اللغة " فاللعب هو اللغة التي تشكّل عالم الطفل والتي تعبر عنه .. فالطفل أثناء اللعب يقوم بتكرار الأفعال واستدعاء صور ذهنية ، ويتصور ويتذكر ويتخيّل ، فضلاً عن قيامه بممارسة المهارات اللغوية والحركية والاجتماعية ... وتؤكد نظريات التعلّم على أنّ اللعب يعتبر وسيلة جيدة من وسائل التعلّم ، وإنه يمكن أن يُعتبر نشاطاً تعليمياً أكثر منه نشاطاً تلقائياً بل ووسيطاً تربوياً إذا ما خضع لأهداف محددة وفي إطار خبرات منظمة .. " (9)

كما ينبغي أيضاً انتهاج أسلوب الإثارة والتشويق ، وذلك من خلال الأنشطة التربوية المتنوعة التي يتوفّر فيها ما يشدّ انتباه التلميذ ويجلب حواسّه ويشير اهتمامه ، كأن يكون ذلك بإعداد مشاهد متنوعة بغية التعبير عنها ، فهذا ممّا يدفع التلميذ إلى توظيف مهاراته اللغوية والفنيّة .. أو أنّ يكون ذلك بإيجاد جوّ من التنافس بين التلاميذ يحظون إثره بمكافآت تشجيعية .. أو أنّ يتمّ استعمال الحاكي والأشرطة لتسجيل ما ينجزه التلاميذ .. أو أنّ يتمّ انتهاج أسلوب

القصّة الذي يُقبَل عليه المتعلّمون - في كلّ المراحل - إقبالاً كبيراً . ومن خلال الأسلوب القصصي يمكن أن يستفيد المتعلّم من جوانب عديدة ، إذ يتزوّد بالأفكار والمعاني وطابعها الفنّي الذي ترد فيه ، كما يكتسب منها عدداً من الألفاظ والعبارات المتنوعة التي يُثري بها قاموسه اللغويّ ، ليقوم بتوظيفها في مناسبات أخرى ، كما يتدرّب تلقائياً على معرفة السياقات المختلفة التي تستعمل فيها اللغة ، وكذلك العلاقات بين مختلف الوحدات التي تتألّف منها الجمل والتراكيب . إلى غير ذلك من مظاهر استعمال اللغة وإنتاجها وفهمها في آن واحد .

وهناك أيضاً نشاط الرحلات المنظمة التي تُسَطّر لها أهدافها في جوانب عديدة ، منها جانب التعبير ( الشفهيّ والكتابيّ ) الذي يتمرّن المتعلّم من خلاله على أعمال الفكر وتوسيع الخيال ، ثم استعمال اللغة لوصف الواقع من جهة ، وللتعبير عن الحاجات والإفصاح عن المشاعر من جهة أخرى ..

ومّا ينبغي مراعاته حال المتعلّم وقياس مدى استعدادة وحاجاته وقدرته على التحصيل واكتساب الملكة . فابن خلدون يرى أنّ الفعل التعليمي لا يجدي نفعاً ولا يُجنى ثماره إلاّ إذا " كان على التدريج شيئاً فشيئاً ، وقليلًا قليلًا . يلقي عليه [ أي على المتعلم ] أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه" (10)

إنّ هذه الاعتبارات التي يراعيها ابن خلدون هي ما أشادت به النظريات الحديثة في مجال التعليمية ، ولا سيما اللسانيات التربوية التي تركّز اهتمامها على هذه الاعتبارات التي أشرنا إليها آنفاً ، وهي التي انطلق منها الفكر التربوي التعليمي عند ابن خلدون ، ثائراً على أساليب التعليم القسرية الجامدة وناقماً على الطرائق العقيمة التي ظلت سائدة في عصره ، لأنّها لا تستند إلى أسس منهجية مدروسة ، ممّا جعلها قليلة الجدوى منقّرة لا جاذبة . فهو يقول متذمّراً من هذه الطرائق: "... وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق هذا التعليم وإفادته ، ويحضرون للمتعلّم في أول تعليمه المسائل المغفلة من العلم ، يطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ، ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها .. وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم ، وأدركه الكلال ، ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم". (11)

**ثالثاً : استراتيجيات التعليم والتعلّم (أو: المعلم و المتعلّم ) :**

**1/ - استراتيجيات التعليم ( المعلم ) :**

كثيراً ما يُوجّه اللوم - عن سبب تدنّي مستوى التعليم - إلى المدرّس في كلّ المراحل التعليمية . أمّا المدرّس فيوجّه لومه إلى المناهج والبرامج بالدرجة الأولى .. والحقيقة أنّ القضية معقّدة تتشابك فيها عوامل أخرى منها ما يتصل بالمتعلّم ومنها ما يتصل بالبرامج ومنها ما يتصل بالمحيط الاجتماعي العامّ بنسبة كبيرة ، ومنها ما يتصل بالمدرّس . وباعتبار أنّ المدرّس يملك - إلى حدّ معيّن إذا كان قد أعدّ إعداداً حسناً - القدرة على توجيه المتعلّم وجهة إيجابية على الرّغم من عدم ملاءمة الظروف الأخرى ، فإنّه لمن الأولويات أن يكون للمدرّس المستوى الذي يؤهّله للقيام بهذه المهمة الصّعبة . ولا يتأتّى له هذا المستوى إلاّ إذا كان على اطلاع بما يجدرّ على المستوى العلميّ للمادّة التي يدرّسها .

وبما أنّ البحث العلميّ - النظري والتطبيقي لا يمكن أن ينقطع وينتهي فإنّ جميع المدرّسين- ككلّ من يتعاطى صناعة من الصناعات - مجبرون مبدئياً على تطوير معلوماتهم النظرية والمنهجية بالاطّلاع المتواصل على ما يجدر في صعيد البحث العلميّ وتطبيقه بكيفية معقولة . (12) كما أنّ عليهم أن يدركوا بأنّ مهمّتهم الأساسية تتمثل في تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق تفاعل إيجابي مثمر بين المتعلّم وبيئته ومحيط الخارجي الذي هو جزء منه ولا غنى له عن التعامل معه. وتلك مهارة كبرى ينبغي أن يعيها كلّ معلّم، وحقيقة لا بدّ أن يدركها..

ويجدر بنا أن نتساءل ههنا : أتى للمدرّس بهذه المهارة ؟ ومن أين يكتسبها ؟ وجواباً على ذلك نقول : إنّ ذلك متوقّف على تكوين المدرّس معرفياً وتربوياً .

فالتكوين العلميّ المعرفيّ نعني به حصول المدرّس على قدر كافٍ وصحيح من المادة العلمية التي تؤهّله- في مجال تخصّصه- للتعامل مع الأشكال المعرفية المختلفة التي يصادفها في أثناء تعليمه للغة أو تحليله للنصوص أو غير ذلك. وبدون هذا التكوين المعرفيّ الكافي تكون جهوده التي يبذلها محدودة مهما كان اجتهاده.. بل إنّ الأمر لا يقتصر أحياناً على مجال التخصّص. فقد يجد المدرّس نفسه بحاجة إلى معارف أخرى لها علاقة بميدان تخصّصه.

كما أنّ على مدرّس اللغة أن يُدرك الاستعمال الصحيح لها ، لأنّ ضعفه وتعرّضه للخطأ باستمرار ينعكس سلباً على تلاميذه . ويكون من الصعب جداً تصحيح العادات اللغوية غير الصحيحة التي تعود عليها التلاميذ . وقد لاحظنا هذه الظاهرة ميدانياً بصفة متكررة ، إذ ينتقل التلاميذ من مرحلة معينة إلى أخرى بأخطاء متنوعة ترسّخت في أذهانهم وتعودوا عليها لسنوات عديدة .. وعندما يُراد تصحيحها يكون هذا التصحيح أمراً غريباً عليهم . وربما لا تثمر الجهود في ذلك إلا قليلاً .. والسبب في ذلك هو قلة زاد المدرّس ، وعدم كفايته العلمية ..

هذا، ولا يكفي المدرّس علّمه النظريّ بالأحكام والقواعد من غير تطبيق لها. بل إنّ عليه تعويد التلاميذ على الممارسة لهذه الأحكام والقواعد حتى يتعودوا عليها من خلال التمرين والتدريب الفعليّ لتحقيق كفاءات بعينها. وأمّا التكوين التربويّ فنعني به اطلّاع المدرّس على ما يجدر في ميدان البحوث التربوية وما يتصل بها من الدراسات على اختلاف أنواعها ومناهجها لاستثمارها في الأوضاع التي يواجهها في أثناء تعامله مع المادة اللغوية والأدبية . فهذه البحوث هي التي تزوّده بالآليات المناسبة التي تقوده إلى النجاح .

ومن مظاهر هذا التكوين النظري معرفة المدرّس بأساليب التدريس وما ينبغي مراعاته في المادة التي يقوم بتدريسها . ومنها أيضاً إعدادها لما يدرّسه إعداداً يُراعي فيه مستوى المتعلّمين وتفاوتهم في قدرات الاستيعاب ، ومدى استعدادهم للتجاوب مع المادة . ومنها كذلك الاقتصار على حاجة المتعلّمين من هذه المادة ، وربط ذلك بالمدة التي تُقدّم لهم فيها .. ومنها انتهاج الأسلوب السهل الذي يقرب المفاهيم ويرغب في الإقبال على التعليم .. وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بهذا الجانب ..

وعلى المعلّم " أن يعلم الطلبة ما وراء العبارات والألفاظ من واقع اجتماعي وتقاليد وأعراف اجتماعية ووقائع، دون أن يكتفي بمس ذلك سطحياً، وغالباً ما يلجأ المدرسون إلى شرح ألفاظ بألفاظ، وتلقين المتعلمين عبارات جوفاء لا يتبينون ما خلفها من معان ودلالات، فلا يحسنون توظيفها على النحو المنشود.. " (13)

إنّ للمعلّم أو الأستاذ دوراً أساسياً في إنجاح عملية التعليم، فهو الذي ينفذ الخطط والاستراتيجيات التعليمية من وجهة علمية تستند إلى تزوّده بالمعارف الضرورية، وهي التي تمثل المادة العلمية التي يقدمها للمتعلمين، ثم من وجهة تربوية بتوجيه المتعلمين وإرشادهم إلى الطرق المثلى والكيفيات الناجعة للاستفادة من هذه المعارف وتحويلها إلى مهارات فعلية، مع إثارهم وتحفيزهم؛ وينبغي أن يتّسم عمله بالمرونة والانسيابية والانفتاح لإعطاء فرص أكبر للتعلّم..

وينبغي أن يكون المعلم على وعي بهذه الاستراتيجيات والأوقات المناسبة لكل منها، بحسب وضعيات المتعلمين، مع حسن اختيار الوسائل التعليمية المناسبة، مع حسن استعمال هذه الوسائل، ولا سيما التكنولوجية منها، التي لا غنى عنها في العملية التعليمية.. فهذه كلها استراتيجيات تعليمية لا بد من مراعاتها من قبل المعلّم يتوقف نجاحه على مدى توفيقه في اتباع هذه الاستراتيجيات..

## 2/ - استراتيجيات التعلّم ( المتعلّم ) :

نميّز ههنا بين نوعين من النشاط: نشاط التعليم ونشاط التعلّم ؛ فالأول متصلّ بالمعلّم أو الأستاذ الذي يمارس عملية التعليم ؛ وأمّا الثاني ( أي نشاط التعلّم ) فمتصلّ بدور المتعلّم الذي يمثل الهدف من كل عملية تعليم ، إذ يتحدد مصيرها انطلاقاً ممّا ينعكس من جهود تعليمية على المتعلّم تترجمها درجات اكتسابه وما يصدر عنه من سلوكيات ومهارات فعلية يتجلى من خلالها المستوى الذي تم التوصل إليه..

إنّ التعلّم نشاط ذاتي يقوم به المتعلّم ويترتب عليه تغيير في السلوك الناجم عن اكتساب خبرات ومهارات جديدة تُضاف إلى رصيده. فالتعلّم إذاً يكون من جهة المتلقّي ( المتعلّم ) بفعل تأثيرات إيجابية أو سلبية تُسهم فيها عدة أطراف أخرى، منها ما ينتمي إلى المنظومة التعليمية كالمعلّم والمناهج والمقررات والطرق والأساليب، ومنها ما ينتمي إلى قطاعات أخرى خارج هذه المنظومة، منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو ثقافي، ومنها غير ذلك..

وعلى هذا فإنّ استراتيجيات التعلّم تشمل استعدادات المتعلمين ( التلاميذ ) مع مراعاة ميولهم وقدراتهم الإبداعية وإنجازاتهم الفعلية الممكنة. إذ يمثل المتعلّم الطرف الأساس في أي عملية تعليمية - تعلّمية ؛ إذ يتعيّن عليه أن يكون إيجابياً من خلال ما يقوم به من مبادرات للاستكشاف والبحث والمحاورة وحبّ الاطلاع ، مع التوفيق بين قدراته واستعداداته الذاتية من جهة ، وما يستدعيه نشاط المجموعة ، التي يمثل جزءاً منها، من استجابة واندماج..

ولكن هذه المواصفات لدى المتعلم لا يمكن تحقيقها إلاّ بتوفير الآليات المناسبة لتفعيل استراتيجيات التعلّم؛ ففي مجال اكتساب اللغة، مثلاً، تعتقد النظرية اللسانية التوليدية التحويلية أنّ ثمة " قدرات فطرية على درجة عالية من الاختصاص تحدد نموّ البنى الإدراكية وتهمّ إلى حد كبير بتحديد ما هو فطري في عملية النموّ اللغوي . وبهذا الاعتقاد يتسوّى للقدرة الفطرية للطفل إنجاز عملية اكتساب اللغة . " (14) وعلى هذا تكون فكرة ( القواعد الكلّية ) التي جاءت بها هذه النظرية ميزة فطرية في العقل الانساني ، ويمكن - من حيث المبدأ - تحليلها في إطار البيولوجيا الإنسانية . (15) وهذا يستدعي أن تكون المادة اللغوية المكتسبة لاحقة للاستعداد الفطري وملائمة له ، ولا يمكن إلاّ أن تكون كذلك . وههنا ارتباط حتمي بين القدرات العقلية والمادة اللغوية المقدّمة، وهو مما ينبغي مراعاته ..

ولتحقيق تعليم ناجح يجب تحاشي ما يخلّ بتعليم اللغة واكتساب الملكة فيها، على اعتبار أنّ حصول الملكة يُعدّ خطوة إلى الأمام على درب النجاح . فكثيراً ما نجد المعلمين يقومون بحشو أذهان المتعلمين بكلم كبير من المادة العلمية ويطالبونهم باستظهارها، ممّا يؤدي إلى تزامنها واستغلاقتها عليهم . بينما نجد أنّ التكرار، مثلاً، يفضي إلى تكوين الملكات وترسيخها لدى المتعلم. وفي هذا الشأن يشير ابن خلدون إلى أهمية التكرار الذي هو ضروريّ للمتعلم لترسيخ المعارف وتحقيق الملكات، أمّا حشو ذهن المتعلم بالمعلومات التي يُجبر عليها ففيه " فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل. وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها وهو من سوء التعليم كما سيأتي. ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ؛ لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك عويصة ، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت . ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة ، فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة ، بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدتين لحصول الملكة التامة." (16)

إنّ نجاح العملية التعليمية لا يمكن أن يتحقق بكثرة المادة المقدمة للمتعلم ، بل إنّ ذلك ممّا يعطل عملية الاكتساب، وإنّما ينبغي الاهتمام بحسن الانتقاء لما يُقدّم من المادة التعليمية ، حتى لا تنحصر عملية التعليم في حشو ذهن التلميذ بكلم كبير من المادة اللغوية مع الاعتقاد أنّه " كلما زاد علم المتعلم باللغة وأوضاعها - مهما كانت - فهو ثروة لغوية ولا بدّ أن تفيده . وهذا غير صحيح ، بل ينفية الواقع الذي يعيشه المتكلمون . " (17)

وعلى خلاف ما يعتقد بعض المعلمين تبيّن أنّ المتكلم سواء أكان عادياً أم متوسط الثقافة أم عالي الثقافة فإنه لا يستعمل سوى عدد محدود من المفردات في مخاطباته اليومية. كما أثبتت بعض البحوث أنّ المادة التي تقدّم للناشئة تتصف بصفتين : أولاهما غزارة المادة اللغوية وكثرة المفردات التي لا يحتاج إليها الطفل ليواجه الحياة ككثرة الألفاظ الدالة على المسمّى نفسه في الكتاب الواحد ، وكذا الغريب الذي لا يعرفه حتى المعلم نفسه ، وغير ذلك ..

وأما الصفة الثانية فتتمثل في الخصاصة اللغوية الفظيعة فيما يخص الألفاظ التي تدلّ على المسميات المحدثة في عصرنا الحاضر ، كالكثير من أسماء الملابس والأدوات وأجزائها ، والمرافق وغيرها ... وهذا ما جعل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تقدّم مشروعاً في هذا الشأن ، الغرض منه هو ألاّ يزيد الرصيد اللغوي الذي يكتسبه الطفل على ما يحتاج إليه ، وعلى ما يُقدر على إدراكه في سنّ معيّنة من عمره ، وألاّ ينقص عن ذلك في الوقت نفسه ، فهو القدر الأمثل ، ( أي : أقصى ما يمكن وأدنى ما يُحتاج إليه ) . (18)

إنّ نجاح مهمّة التعليم وإثمار جهود المعلمين والمتعلمين والباحثين وتحقيق الأهداف المتوخاة في هذا الشأن.. كل ذلك لا يمكن أن يتحقق ما لم تُسند هذه المهمّة إلى أهلها من الخبراء والمتخصصين الجادّين الذين يسهرون عليها ويتابعون مراحلها ويدرسون نتائجها ويقدمون البدائل الضرورية عند اللزوم، مع مسانيرهم لما جاءت به النظريات الحديثة، ومواكبهم لمعطيات عصر التكنولوجيا ومقتضياته..

## هوامش البحث :

1. د. ماجدة الخرزجي، مقال بعنوان: ( التقنيات الإلكترونية التفاعلية الاتصالية في تعليم اللغة العربية ) ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية، الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية ، مج2/749
2. اللغة بين النظرية والتطبيق - للدكتور خالد عبد الرزاق السيد - مركز الاسكندرية للكتاب 2003 . ص 143 وما بعدها .
3. المرجع نفسه ، ص 134 .
4. مقدمة ابن خلدون ، ص 532 وما بعدها .
5. محمد الصالح حثروي : نموذج التدريس الهادف : أسسه وتطبيقاته - دار الهدى/عين مليلة - الجزائر (1999).15
6. اللغة العربية : مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية . ضمن مقال للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بعنوان : الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي . عدد : 3 لسنة : 2000 ص 115 . ( عدد خاص بالمنظومة التربوية ) .
7. المرجع نفسه، 116
8. ينظر : الدكتور محمد زياد حمدان : ترشيد التدريس بمبادئ واستراتيجيات نفسية حديثة - دار التربية الحديثة - الأردن : 1985 م . ص 128 وما بعدها .
9. يُنظر: اللغة بين النظرية والتطبيق - للدكتور خالد عبد الرزاق السيد، مركز الاسكندرية للكتاب 2003. ص 233 - 235.
10. ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 ص 695 .
11. المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 295 - 296
12. مجلة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر - معهد العلوم الصوتية واللسانية - ضمن مقال للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح - العدد : 4 لسنة : 1974/1973 م . ص 41 - 42
13. د. فاطمة العمري، مقال بعنوان: ( معلّم العربية للناطقين بغيرها بين الاستعداد والإنجاز في ضوء علم اللغة الحديث ) ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية، الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية ، مج2/675
14. اللغة بين النظرية والتطبيق ، ص 233 - 235 .
15. المرجع نفسه ، ص 158
16. ابن خلدون : المقدمة / 3 1242
17. مجلة اللغة العربية، 116،
18. المرجع نفسه، ص 115 وما بعدها .

- 1) - د. ماجدة الخرزجي، مقال بعنوان: ( التقنيات الإلكترونية التفاعلية الاتصالية في تعليم اللغة العربية ) ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية، الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية ، مج2/749
- 2) - اللغة بين النظرية والتطبيق - للدكتور خالد عبد الرزاق السيد - مركز الاسكندرية للكتاب 2003 . ص 143 وما بعدها .
- 3) - اللغة بين النظرية والتطبيق ، ص 134 .
- 4) - مقدمة ابن خلدون ، ص 532 وما بعدها .
- 5) - محمد الصالح حثروي : نموذج التدريس الهادف : أسسه وتطبيقاته - دار الهدى/عين مليلة - الجزائر (1999).15
- 6) - اللغة العربية : مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية . ضمن مقال للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بعنوان : الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي . عدد : 3 لسنة : 2000 ص 115 . ( عدد خاص بالمنظومة التربوية ) .
- 7) - المرجع نفسه، 116
- 8) - ينظر : الدكتور محمد زياد حمدان : ترشيد التدريس بمبادئ واستراتيجيات نفسية حديثة - دار التربية الحديثة - الأردن : 1985 م . ص 128 وما بعدها .
- 9) - يُنظر: اللغة بين النظرية والتطبيق - للدكتور خالد عبد الرزاق السيد - مركز الاسكندرية للكتاب 2003. ص 233 - 235.

- 
- (10) - ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 ص 695 .
- (11) - ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، ص 295 - 296
- (12) - مجلّة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر - معهد العلوم الصوتية واللسانية - ضمن مقال مطّول للدكتور عبد الرحمان الحاج صالح - العدد : 4 لسنة : 1973/1974 م. ص 41-42
- (13) - من مقال للدكتورة فاطمة العمري، بعنوان: ( معّلم العربية للناطقين بغيرها بين الاستعداد والإنجاز في ضوء علم اللغة الحديث ) ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية، الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية ، مج 2/675
- (14) - اللغة بين النظرية والتطبيق ، ص 233 - 235 .
- (15) - المرجع نفسه ، ص 158
- (16) - ابن خلدون : المقدمة 3 / 1242
- (17) - مجلة اللغة العربية، 116
- (18) - المرجع نفسه، ص 115 وما بعدها .